مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الحادي عشر مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويًا

1423 من ميلاد الرسول ﷺ الموافق 1994 ميلادية

مصادر الدراسة اللغوية عند العرب

الدكتور صبيح التميمي
جامعة الفاتح

«مصادر الدراسة الصوتية(*)»

تنطلق فكرة هذا الموضوع من الشعور بأن كثيراً من الدارسين والباحثين بحاجة إلى معرفة أبرز المصادر الرئيسية للتفكير الصوتي عند العرب، وقد يفتقد كثير منهم إلى معرفة شمولية بهذه المصادر، فقد وجدناهم يقفون عند ما خلّفه لنا سيبويه وابن جنّي في هذا اللون من الدراسة اللغوية، مع أن هناك مصادر أخرى ذات فائدة كبيرة.

لذا أردت التنبيه إليها، لعلمي أنها تعين على كشف جوانب جديدة، فذكرت أبرزها، دون أن أتناول مادتها بالتحليل، لأن الموضع ليس موضع تحليل ودراسة، بقدر ما هو إشارة وكشف لجوانب مضيئة في غير ميادينها،

(*) سنُتابع ذكر المصادر الأخرى في الأعداد اللاحقة.

تمهيد

رواية اللغة وجمعها

شهد القرن الثاني للهجرة[1] بواكير الرحلات العلمية لعلماء العربية من البصرة والكوفة إلى البادية: مهد العرب الفصحاء، ينهلون اللغة الفصيحة من مصادرها الصافية التي لم تشهد ذلك التفاعل اللغوي بين العرب وغيرهم، حال تجاورهم في حواضر المسلمين، فبقيت ألسنة البدو سليمة فصيحة لم تفسد لبعدهم عن مخالطة غيرهم.

هذه الرحلات الميدانية قصدها علماء العربية قَصْداً؛ لأنهم لم يجدوا بين أيديهم ثروة لغوية تعينهم على تحقيق أهدافهم.

ويمكن إيجاز الملاحظات العامة على هذه الرواية بما يأتي:

1 ـ تتمثل بواعثها ودواعيها في الخوف من تسرّب اللّحن إلى النّص القرآني بعد ضعف السلائق، واختلاط العرب بغيرهم من المسلمين، فكان هذا باعثاً على اتّخاذ خطوات على سبيل إيجاد الضوابط اللغوية التي تقي اللسان من الوقوع في الزيغ، ولا يمكن تحديد هذه الضوابط، من غير الوقوف على أساليب العربية، ونظمها في كلام العرب الفصحاء.

● ومن جانب آخر كانت هناك حاجة إلى تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً لغوياً[2]، وهذا يحتّم عليهم أن يعودوا إلى الآثار الأدبية لتبيان ما غَمُض عليهم، ومنها: الشعر: ديوانهم الذي يرجعون إليه عند غموض المعنى، وقد كان ابن عباس (رض) إذا سُئِل عن شرح لفظة قرآنية، أجاب عن معناها، موثّقاً له بما جاء في شعر العرب[3].

---

(1) لا يعني هذا عدم وجود رواية عند العرب قبل هذا التاريخ، بل إنهم عرفوا الرواية قبل فجر الإسلام كرواية الشعر، ورواية أنساب قبائلهم، وتعدتها إلى أنساب خيلهم، ولكن المقصود هنا الرواية اللغوية التي اتخذت وسيلة لجمع اللغة، وضبط أصولها، وتراكيبها، وأساليبها.

(2) رواية اللغة: 58.

(3) الفاضل، للمبرد: 10، وانظر: كتاب سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مجلة رسالة الإسلام، كلية أصول الدين الأهلية، بغداد.

● وباعث ثالث تمثّل في رغبة المسلمين من غير العرب، وحرصِهم على تعلّم العربية، وإجادة نطقها، والبراعة في حذقها، لأسباب اجتماعية، وسياسية.

وفي هذا قال ابن شبرمة: «إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً، ويصغر في عينك من كان عظيماً، فتعلّم العربية، فإنها تجريك على المنطق، وتدنيك من السلطان»[4].

● وباعث رابع قد تأخّر زمنياً هو:

الحاجة العلمية ذاتها لوضع الضوابط النحوية، بعد أن أصبح الدرس اللغوي علماً يطلب لذاته[5].

2 ـ أن هذه الرواية اتخذت طريقين:

أولاهما: تمثّلت في رحلة العلماء إلى البادية، لمشافهة الأعراب، واستنطاقهم والرواية عنهم.

وثانيتهما: تمثّلت في رحلة أعراب البادية إلى الحواضر من أجل التكسّب، والعيش برواية اللغة[6].

3 ـ اقترنت رواية اللغة بالتدوين، من أجل الضبط والإتقان[7]، بالإضافة إلى ما وقر في صدور العلماء[8].

4 ـ أن القائمين بهذا العمل اللغوي هم رواة علماء من المصرين: كأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وأبي زيد الأنصاري من البصرة، والكسائي، وأبي عمر الشيباني، وابن الأعرابي من الكوفة، ثمّ تحوّل من هؤلاء، ومن هؤلاء إلى بغداد التي شاركت بهذا العمل أيضاً.

---

(4) عيون الأخبار: 2/ 157، وابن شبرمة من ضبّة كان قاضياً على سواد الكوفة، (انظر: المعارف: 470).

(5) الدراسات اللغوية عند العرب: 66.

(6) الفهرست: 65، وطبقات الزبيدي: 166، ومعجم الأدباء: 16/ 75.

(7) نزهة الألبّاء: 59، 78.

(8) طبقات الزبيدي: 95.

5 ـ سارت الرواية اللغة عند البصريين وفق منهج صارم تمثّل في عملية انتقاء محدّد للقبائل العربية[9] التي شافهوا أعرابها، ونقلوا عنهم، ـ معلّلين هذا الانتقاء بالاختلال والفساد اللغوي الذي عرض لألسنة أعراب القبائل المستبعدة، وذهبوا إلى أكثر من هذا الانتقاء والتحديد، وذلك بإخضاع الأعراب إلى امتحان لغوي خوفاً من ليونة ألسنتهم[10].

● أما الكوفيون فقد وسّعوا دائرة استشهادهم اللغوي، وسمعوا أعراباً كان البصريون أبوا الأخذ عنهم، وقد عيب عليهم هذا التوسّع[11].

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى التعاون بين رجال المدينتين، فهناك كوفيون أخذوا عن البصريين[12]، وهناك بصريون أخذوا عن الكوفيين[13].

6 ـ لم يقتصر السماع ـ عندهم ـ على العرب الفصحاء، بل سمعوا الفصحاء من غير العرب، كموسى بن سيار الأسواري، والحسن البصري[14].

7 ـ لم يتقيّد الرواة بنوع معيّن من السماع، بل سمعوا الروايات اللغوية، والأدبية، والأخبار، والأنساب، ومعرفة المواضع، وغيرها[15].

8 ـ توقّفت رواية اللغة عن عرب الحواضر عند أواسط القرن الثاني للهجرة، واستمرّت عن أعراب البادية إلى أوائل القرن الرابع للهجرة. وكان السماع والنقل عن الرواة الذين شافهوا الأعراب، وسمعوا منهم، كالنقل عن الخليل بن أحمد، أو أبي زيد الأنصاري، أو الأصمعي، أو الكسائي، موازياً للأخذ عن العرب الفصحاء، ثم أصبح الأخذ عن هؤلاء بعد اختلال السلائق في البادية هو المصدر الوحيد ـ مكتوباً أو مسموعاً ـ لرواية اللغة وحفظها.

---

(9) المزهر في علوم اللغة: 1/212.

(10) الخصائص: 2/5، 12.

(11) أخبار النحويين البصريين: 90، والفهرست: 86.

(12) نحو سماع الكسائي عن الخليل ويونس (معجم الأدباء: 13/169).

(13) نحو سماع يونس بن حبيب عن حماد بن سلمة (أخبار النحويين البصريين: 43).

(14) البيان والتبيين: 1/368، 163.

(15) مادة المعجمات العربية والموسوعات الأدبية كفيلة بإثبات رواية هذه الجوانب المتعددة.

9 ـ من ثمرات هذا العمل الكبيرأن ضُبطت اللغة، وجُمِعتْ ألفاظها، وحُصرت أبنيتها، وانمازت أساليبها، وبالتالي كان العمل بمجموعه ممهّداً لنشوء علوم اللغة العربية، ودافعاً لحركة التأليف بعد وضعه مادة دراسية متنوعة في متناول علماء العربية.

من ذلك:

الدراسة الصوتية

فلعلماء العربية القدامى جهود رائعة أصلية في الدراسات الصوتية ألزمت جملة من اللغويين الغربيين الاعتراف بها، وبزيادتها في هذا الميدان.

من ذلك:

● قول المستشرق الألماني «برجشتراسر»:

«ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلاّ قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند ـ يعني البراهمة ـ والعرب»[16].

● وقول اللغوي الأنجليزي «فيرث»:

«إن علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدّستين، هما السنسكريتية والعربية»[17].

● وقول اللغوي الفرنسي «كانتينو»:

«هي دراسات نفيسة، ولو رجع إليها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكّنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها»[18].

● وقول اللغوي الألماني «أ. شاده» بعد دراسته لما خلّفه سيبويه:

«فيستحقّ ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره ما أجمع

---

(16) التطور النحوي للغة العربية: 11.

(17) دراسات في علم اللغة، كمال بشر ق 2: 67.

(18) دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي: 11.

على تسمية كل مَنْ درسه من علماء الشرق والغرب: مفخراً من أعظم مفاخر العرب»[19].

وقد جاءت الدراسات الصوتية العربية على مستويين، هما:

1 ـ **مستوى الصوت اللغوي المنفرد**: من حيث المخرج والصفة.

2 ـ **مستوى التشكيل الصوتي**: أي حال تآلف الصوت مع غيره الذي ينتج عنه: الإعلال، أو الإبدال، أو الإدغام، أو المخالفة، أو الإتباع، أو الإمالة.

وهذه الدراسات نجدها في مصادر متعدّدة متنوّعة تنوّع مستويات البحوث اللغوية التي أفادت من الدرس الصوتي، وارتبطت به.

وأبرزها:

1 ـ كتب الأصوات.

2 ـ كتب قراءات القرآن، وتجويده، ومعانيه.

3 ـ كتب اللغة المتخصّصة.

4 ـ المعجمات اللغوية.

5 ـ كتب الإعجاز والبلاغة.

6 ـ كتب الأدب العامّة[20].

ـ 1 ـ

«كتب الأصوات»

أ ـ ما ذكره الكوفيون من الإدغام[21]، لأبي سعيد السيرافي (ت ـ 368

---

(19) هكذا ورد النصّ في علم الأصوات عند سيبويه وعندنا محاضرة له نشرت في صحيفة الجامعة المصرية عام 1349 هـ. ص (30) وهي ملخص لرسالة علمية نال بها درجة الدكتوراه في ألمانيا.

(20) سنقتصر في هذا المبحث على إعطاء أفكار موجزة عن كل كتاب من كتب الأصوات فحسب، دون غيرها من مصادر الدراسة الصوتية.

(21) حقّقه د. صبيح التميمي ونشره مرتين، أولاهما بدار البيان ـ جدّة/ السعودية عام 1985، والثانية بدار الشهاب ـ باتنة ـ الجزائر عام 1987، وصدّره بدراسة لظاهرة الإدغام وآراء الكوفيين فيه.

هـ.)، وهي رسالة نادرة، وربّما المتفرّدة فيما نقلت إلينا ما ذكره الكوفيون من مسائل عالجوا فيها جوانب من هذه الظاهرة الصوتية، مما خالفوا فيها دراسات سيبويه الصوتية.

وأصحاب هذه المسائل هم أعلام مدرسة الكوفة:

«الكسائي، والفرّاء، وثعلب».

وقد ناقش السيرافي آزاءهم، وانتصر لسيبويه، غير أنّه وَهِمَ في بعض شروحه لأقوال الفراء، ورددنا عليه هذا الوهم في دراستنا لهذه الرسالة.

ب ـ سرّ صناعة الإعراب[22]، لابن جنّي (ت 392 هـ.).

● وهو أول كتاب في تاريخ العربية يُفْرد للدراسة الصوتية المتكاملة أراد له مؤلفه أن يشتمل على أغلب آراء أسلافه في هذا اللون من الدراسة، مع التحليل العلمي لأقوالهم، والتقدير الدقيق لآرائهم، بالإضافة إلى ما هداه إليه عقله المبدع من إضافات أصلية. وصُدِّر الكتاب بمقدّمة تضمّنت أفكاراً عامة في علم الأصوات من حيث: الصوت، والحرف واشتقاقهما اللغوي، وكيفية حدوث الصوت اللغوي، ومخارج الأصوات، وصفاتها. بعدها بدأ بذكر الأبواب الرئيسية للكتاب، حيث أفرد لكل حرف باباً مستقلاً مراعياً الترتيب الألفبائي، وتناول في كل باب:

● الصفات العامة للحرف المعقود له الباب.

● ما يطرأ عليه في سياق الكلام من ظواهر الإبدال، أو الإدغام، أو الزيادة، أو الحذف مع الإشارة أحياناً إلى معانيه المستخدمة في كلام العرب.

● وقد تخلّلت هذه الأبواب قضايا صرفية، وقضايا نحوية، بسبب الاستطراد في الشرح، ففي باب «الباء» استطرد إلى الحديث عن حروف الجر، وعلّة الجر بها، وإعراب الجار والمجرور...

وفي باب «التاء» استطرد إلى الحديث عن «تاء» الضمير، ثم عن شدّة

---

(22) نُشر الجزء الأول منه بتحقيق مصطفى السقا وآخرين بالقاهرة عام 1374 هـ.= 1954 م، ثم أعاد الدكتور حسن هنداوي نشره كاملاً بدمشق عام 1985 م.

اتّصال الفعل بالفاعل، وعدم جواز تقديمه على الفعل...

ج ـ أسباب حدوث الحروف[23]، للشيخ الرئيس ابن سينا (ت 428 هـ).

وهي رسالة كُتبت بقلم رجل جمع بين اللغة، والطّب، والفيزياء، لذا جاءت مادتها اللغوية متأثرة بهذه الجوانب المعرفية، وقد رسمها بستة فصول، بيانها هو:

1 ـ دراسة فيزيائية عن سبب حدوث الصوت العام.

2 ـ دراسة لغوية عن سبب حدوث الصوت اللغوي.

3 ـ دراسة تشريحية عن غضاريف الحنجرة، وعضلات اللسان.

4 ـ دراسة عن كيفية حدوث الأصوات العربية وفق أساس تشريحي.

5 ـ دراسة صوتية مقارنة بين أصوات عربية وأصوات فارسية.

6 ـ رصد التشابه الصوتي بين أصوات العربية، وبين ما يسمع في الطبيعة من حكّ الأجسام، أو شقّها، أو قلعها، أو اهتزازها، أو تدحرجها، أو حفيفها.

● ومما تجدر الإشارة إليه أنّ لابن سينا إشارات مشابهة لما في «أسباب حدوث الحروف» من معلومات صوتية في كتابه «الشفاء»[24]، وقد عمّق إشاراته الفيزيائية فذكر هناك أثر الذبذبات في نقل الأصوات، وحركتها التموجية، والوسط الناقل لها وأنواعه.

● ولا بأس بالتذكير أنّ لإخوان الصفا إشارات صوتية علمية دقيقة في ميدانها جاءت في رسائلهم[25].

---

(23) نُشرت هذه الرسالة عدّة مرات: بالقاهرة عام (1332 هـ.)، وكذلك في عام (1398 هـ.)، وبألمانيا ضمن كتاب (مواد وبحوث في علم الأصوات عند العرب لبرافمان) عام 1934 م وبطهران عام 1954 م، وببيروت عام 1962، وفي روسيا عام 1966، وأخيراً حُققت بمجمع اللغة بدمشق عام 1983 م.

(24) تنظر: 6/170.

(25) تنظر: 1/189.

د ـ الحروف[26]، لأحمد بن المظفّر الرازي «ت في حدود 631 هـ».

وهي رسالة صغيرة رتّبها مؤلفها على خمسة عشر فصلاً، تحدّث فيها عن: عدد الأصوات العربية، وصفاتها بإيجاز، ومخارجها، والإبدال الجاري فيها، ومعانيها، وحساب الجمّل في أبجد، هوّز...، وما قيل فيها من أشعار، ورسومها، وحديث عام عن حروف المعجم في أوائل السور القرآنية.

ومنهج هذه الرسالة مخالف لما هو مشهور في كتب الحروف التي أفردت مباحثها لقضايا نحوية، ودلالية.

هـ ـ مخارج الحروف وصفاتها، لعبد العزيز بن الطحان «ت 560 هـ».

حقّقه: د. محمد يعقوب تركستاني ببيروت، 1948، ولم أقف عليه.

و ـ كتب الضاد والظاء.

● لم يكن نطق صوت «الضاد» ـ بأدائه الفصيح ـ أمراً ميسوراً للعرب، فضلاً عن الأعاجم الذين يريدون تعلّم العربية، ومبعث صعوبة نطقه أمران، هما:

1 ـ مقدار الجهد الذي يبذله اللسان من أجل نطق هذا الصوت كما وصفه القدماء من علماء النحو والقراءات.

2 ـ مشاركته والتباسه بصوت «الظاء» في أغلب صفاته، كالاستعلاء، والإطباق، والجهر، والرخاوة.

● وقد سبّب هذان الأمران نشوء الخلط[27] بين الصوتين، وهو أمر التفت إليه رجال العربية منذ القرن الأول للهجرة المباركة، فعنوا بمعالجة الأمر من جانبين:

أولهما: بيان الأداء الصحيح لنطق الصوتين، وذلك لتحديد مخرجهما،

---

(26) حقّقه الدكتور رشيد العبيدي بمجلة معهد المخطوطات م 20 ج 1 (الكويت، 1349 هـ.) ثم حققه الدكتور رمضان عبد التواب ـ ضمن ثلاثة كتب في الحروف بالقاهرة عام 1402 هـ.

(27) استمر هذا الخلط إلى يومنا هذا، فلا نكاد نسمع من ينطق بـ «الضاد» نطقاً فصيحاً بل تطور في لهجاتنا العربية المعاصرة إلى: «ظاء»، أو «دال مفخمة» أو «طاء»، أو «لام مفخّمة».

وبيان صفاتهما، لذا فهو موضع حاجتنا من هذه الكتب، لأنه مبحث صوتي.

وثانيهما: حصر الألفاظ الظائية والضادية، أو إحداهما لتتضح الثانية، وبيان الاختلاف الدلالي المبني على تغيير نطق الصوت إلى ما شابهه، وهذا مبحث معجمي دلالي[28].

وقد اصطُلح على الكتب التي عالجت هذا الخلط بـ «كتب الضاد والظاء»، وهي تراث ضخم، سنكتفي بالإشارة إلى ما وقفنا عليه من المطبوع حسب التسلسل الزمني[29].

1 ـ منظومة في الفرق بين الظاء والضاد، لابن قتيبة «ت 276 هـ.»، تح: د. داود الجلبي، مجلة لغة العرب، بغداد ج 6، 1929 ويرى د. حاتم الضامن أنها لأبي نصر محمد الفروخي «ت 557 هـ.».

2 ـ الفرق بين الضاد والظاء، للصاحب بن عباد «ت 385 هـ.»، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بغداد 1958).

3 ـ الضاد والظاء، لابن سهيل النحوي «ت بعد 420 هـ.» تح: د. عبد الحسين الفتلي، مجلة المورد. م 8 ع 2، 1979.

4 ـ الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء، لأبي عبد الله الداني: «ت 470 هـ.» تح: د. علي البواب (الرياض 1987).

5 ـ الفرق بين الضاد والظاء، للحريري «ت 516 هـ.» تح: محمد جبار المعيبد (بغداد ـ؟).

6 ـ معرفة الضاد والظاء، لعلي بن أبي الفرج الصقلي «ت ق 5 هـ.» تح: د. حاتم الضامن (بغداد، 1982).

7 ـ الفرق بين الأحرف الخمسة: الظاء والضاد والذال والصاد والسين. لابن السيد البطيلوسي «ت 521 هـ.».

---

(28) انظر: مقدمة محقق «غاية المراد في معرفة إخراج الضاد» د. طه محسن.

(29) بعد الاستعانة بقائمتي الأستاذين: د. رمضان عبد التواب، ود. حاتم الضامن.

تح: د. حمزة النشرتي (الرياض 1978)، وعبد الله الناصر بدمشق 1984.

8 ـ زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، لأبي البركات الأنباري «ت 577 هـ.» تح: د. رمضان عبد التواب (بيروت 1971).

9 ـ مختصر في الفرق بين الضاد والظاء، لمحمد بن نشوان الحميري «ت 610 هـ.» تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين (بغداد، 1961).

10 ـ الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد، لابن مالك النحوي «ت 672 هـ.» تح: حسين تورال، وطه محسن (النجف الأشرف، 1972).

11 ـ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك النحوي «ت 672 هـ.» تح: د. حاتم الضامن (بغداد 1980)، (بيروت، 1984).

12 ـ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، لأبي حيان الأندلسي «ت 745 هـ.»، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين (بغداد، 1961).

13 ـ غاية المراد في معرفة إخراج الضاد، لشمس الدين ابن النجار «ت 870 هـ.». تح: د. طه محسن مجلة المجمع العلمي العراقي ج 6 م 39 عام 1988.

وقد أفرد جملة من أعلام الدراسات القرآنية والعربية تآليفهم لما ورد من ألفاظ القرآن الكريم بـ «الظاء» ليُعلم أن ما عداها ألفاظاً ضاديّة، وهي كثيرة، وبعضها جاء بشكل منظومات، ثم تصدّوا لشرحها، وسنذكر ما هو مطبوع منها[30]:

1 ـ الظاءات في القرآن الكريم، لأبي عمرو الداني «ت 444 هـ.» تح: الدكتور علي البواب بالرياض عام 1406 هـ = 1985.

2 ـ شرح منظومة الظاءات القرآنية، لأبي عمرو الداني «ت 444 هـ.»

(30) من أراد الاطلاع على المخطوطات من هذا النوع فليراجع قائمة الدكتور طه محسن في مقالة له بعنوان (في سبيل فهرسة متخصّصة للدراسات القرآنية) بمجلة المورد البغدادية م 17 ع 4 عام 1409 ـ 1988.

تح: د. محسن جمال الدين بمجلة البلاغ البغدادية، السنة الثالثة ع 1 ـ 2 عام 1970.

3 ـ ظاءات القرآن، لسليمان التميمي السرقوسي، «ت قبل 591 هـ.» تح: د. حاتم الضامن بمجلة المجمع العلمي العراقي ج 1 م 40. عام 1409 هـ.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن في تراثنا اللغوي كتباً كثيرة يمكن ـ في ظاهرها ـ أن تُضمّ إلى كتب الأصوات، وهي قسمان:

أولهما: لم يُقدر له الوصول إلينا، ويظنّ أنّها صوتية، أو تحمل بين طياتها قضايا صوتية، ولو قُدّر لها الوصول إلينا لأضاءت لنا جوانب أخرى من الدراسات الصوتية عند العرب، منها:

1 ـ كتاب الإدغام، لأبي حاتم السجستاني (الفهرست 87).

2 ـ كتب الأصوات: نحو:

الأصوات، لقطرب. والأصوات، للأخفش.

والأصوات، للأصمعي (الفهرست 78، 83).

والأصوات، لابن السكيت (وفيات الأعيان 5/ 443).

3 ـ كتب الحروف: نحو:

الحروف، للكسائي (الفهرست 98).

الهاء، للفراء (بغية الوعاة 1/ 396).

اللامات، للأخفش (الفهرست 54).

الألف واللام، للمازني (الفهرست 85).

الحروف، للمبرد (الفهرست 88).

اللامات، والياءات، لأبي بكر الأنباري (الفهرست 54، 112).

الهاءات، والياءات، لابن مجاهد (الفهرست 47).

4 ـ كتب الهمز: نحو:

الهمز، لابن أبي إسحاق الحضرمي.

والهمز، لقطرب.

والهمز، للأصمعي، (الفهرست 79، 82).

وثانيهما: ما بين أيدينا من تراث مماثل للقسم الأول المفقود، نحو:

● الحروف، للخليل بن أحمد، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، تح: د. رمضان عبد التواب بالقاهرة عام 1982.

● الحروف، للنضر بن شميل، نشره لويس شيخو في كتاب البلغة ببيروت عام 1914.

● الهمز، لأبي زيد الأنصاري، نشره لويس شيخو ببيروت عام 1910.

● الحروف، لابن السكيت، ضمن ثلاثة كتب في الحروف، تح: د. رمضان عبد التواب بالقاهرة عام 1982.

● حروف المعاني، للزجاجي، تح: د. علي الحمد بيروت عام 1984.

● منازل الحروف، للرماني، تح: د، مصطفى جواد (ببغداد، 1969).

● الحروف، لأبي الحسين المزني، تح: د. محمود حسني، ود. محمد حسن عواد (عمان، 1989).

وغيرها كثير سنأتي على ذكرها في موضع قادم «إن شاء الله تعالى».

غير أن الدارس لهذه الكتب يجد أنها جمعت مادة لغوية متنوعة تجمع بين النحو، والمعاني، وهي بعيدة كل البعد عن الدراسة الصوتية، ومع ذلك لا نستطيع الحكم على ما فُقد من نظائرها بالحكم نفسه.

ومما يلحق بكتب الأصوات «كتب الإبدال»[31] وما بين أيدينا منها، هو ثلاثة كتب مطبوعة، ورابع مخطوط، وهي:

1 ـ الإبدال، لابن السكيت (ت 244 هـ).

نُشر أولاً بعنوان «القلب والإبدال» ببيروت عام 1903، ثم نُشر بعنوان (الإبدال) تح: د. حسين شرف بالقاهرة عام 1978.

---

(31) مما هو جدير بالذكر أن كتباً كثيرة تناولت ظاهرة الإبدال ضمن مباحثها اللغوية.

2 ـ الإبدال والمعاقبة والنظائر، للزجاجي (ت 337 هـ).

تح: د. عز الدين التنوخي بدمشق 1962.

3 ـ الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (ت 351 هـ).

تح: د. عز الدين التنوخي بدمشق 1960).

أما الرابع المخطوط فهو:

● وفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم، لابن مالك النحوي (ت 672 هـ).

● ومخطوطة الكتاب في خزانة مكتبة عارف حكمت في المدينة المنوّرة تقع في 38 ورقة، وألفاظه كثيرة غير أنه مبنيّ على الاختصار في عرض المادة اللغوية.

ومن العناية بظاهرة الإبدال ما وجدناه عند مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط (ت 817 هـ.) حيث بحث الظاهرة عندما يتعاقب حرفان معيّنان فقط، وهما السين، والشين بكتاب له سمّاه «تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين». وقد نُشر بتحقيق الأستاذ محمد بن أبي شنب (الجزائر، 1327 هـ.).

ثم بتحقيق الأستاذ محمد خير البقاعي (دمشق، 1403 هـ.).

ومع أن السمة العامة لمادة كتب الإبدال اللغوية المستقلة، أو مادة الموضوعات المتفرقة التي اشتملت عليها كتب اللغة الأخرى، هي القضايا اللهجية، أقول على الرغم من ذلك فإنّ فيها نصوصاً كثيرة يمكن أن تكون أساساً لدراسة صوتية كالحديث عن العلاقات الصوتية التي تسوّغ حدوث الإبدال، مثل: التجانس، والتقارب، وكذلك ما نقف عليه من حدوث الإبدال بين الحروف المتباعدة في مخارجها.

● ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الكتب تشتمل على ثروة لفظية كبيرة مما تندرج تحت أحد قسمي الإبدال، وهو الإبدال اللغوي أي الألفاظ التي أُبدل أحد أصواتها بصوت آخر لغير ضرورة تصريفية، فتروي لنا هذه الكتب

ألفاظاً جاءت بصورتين مستعملتين، قد تكون إحداهما أكثر استعمالاً من الأخرى، أو أعلى فصاحة.

أما ألفاظ القسم الثاني من الإبدال، وهو الإبدال الصرفي أو القياسي، الذي يحدث لضرورة تصريفية، وفي حروف معينة، فهي مما اعتنت بها كتب الصرف، وكتب النحو تحت باب الإدغام.

«كتب قراءات القرآن وتجويده ومعانيه»

القراءة القرآنية هي: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن معزوّاً لناقله»[32].

عُرِف أصحابه بـ«القرّاء»، وكثير من جوانب الأداء هي قضايا صوتية، وقد بدأ التأليف بها مبكّراً وفق مناهج مختارة في عدد القراءات، وأشهر ما بين أيدينا، هو:

- السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت 324 هـ.)، تح: د. شوقي ضيف (القاهرة، 1972).
- التبصرة في القراءات السبع، لمكي القيسي (ت 437 هـ.)، تح: د. محي الدين رمضان، (الكويت، 1985).
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ.)، تح: أوتو برتزل (استانبول 1930).
- العنوان في القراءات السبع، لإسماعيل الأنصاري (ت 445 هـ.)، تح: زُهير زاهد ود. خليل العطية (بيروت، 1985).
- الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش (ت 540 هـ.)، تح: عبد المجيد قطاش (مكة المكرمة، 1403 هـ.).
- إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة (ت 665 هـ.)، تح: د. إبراهيم عطوة، (القاهرة، 1982).

ـ البديع في قراءات الثمانية لابن خالويه، (ت 370 هـ.)، تح: جايد

(32) منجد المقرئين لابن الجزري: 3.

زيدان، رسالة دكتوراه (كلية الآداب جامعة بغداد، 1986).

ـ الوجيز في شرح قراءات القرآن الثمانية، للحسن الأهوازي (ت 446 هـ.)، تح: دريد أحمد، رسالة ماجستير (كلية الآداب جامعة بغداد 1985).

● الغاية في القراءات العشر، لابن مهران (ت 381 هـ.)، تح: محمد غياث (الرياض، 1985).

● المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران (أيضاً)، تح: سبيع حاكمي، (دمشق، 1986).

● إرشاد المبتدىء وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، للقلانسي (ت 521 هـ.)، تح: د. عمر الكبيسي (مكة المكرمة، 1984).

● النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (ت 833 هـ.)، تح: محمد سالم محسن (القاهرة، 1978).

● إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لابن البنّا الدمياطي (ت 1117 هـ.)، تحقيق د. شعبان إسماعيل (بيروت، 1987).

● لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني (ت 923 هـ.)، تح: عمر عثمان، ود. عبد الصبور شاهين (القاهرة، 1972). وهو أكثر الكتب السابقة عناية بالدراسة الصوتية.

أما علم التجويد: فهو الأسلوب الصوتي العملي لأداء القراءات القرآنية، فإذا كانت القراءة علماً نظرياً، فالتجويد هو «أداؤه وتطبيقه» لذا فهو متوقف على معرفة: مخارج الأصوات وصفاتها، وأحكام بعضها في المد، والإمالة، والإدغام، والوقف، والتفخيم، والترقيق، وكلها مباحث أصيلة في الدراسة.

أما التأليف فيه فيبدو أنه بقي متناثراً في الكتب المختلفة، ولم يستقل كما هو مشهور إلا في القرن الرابع في «القصيدة الخاقانية في فن التجويد» للمقرىء موسى بن عبد الله بن يحيى بن خاقان المتوفى سنة 325 هـ. ومرّت السنون حتى زمن مكي القيسي الذي صنّف كتابه «الرعاية لتجويد القراءة» ثم توالى التأليف في هذا العلم.

وأشهر ما بين أيدينا من كتب التجويد، هو:

ـ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي القيسي (ت 437 هـ.)، تح: أحمد فرحات (دمشق، 1973).

ـ التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ.)، تح: غانم قدوري (بغداد، 1988).

ـ منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق، للسخاوي (ت 643 هـ.)، تح: صالح مهدي عباس بمجلة المورد م 17 ع 4 (بغداد، 1988).

ـ المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، للمرادي (ت 749 هـ.)، تح: د. علي البواب (الأردن، 1987).

ـ التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ت 833 هـ.)، تح: د. غانم قدوري (بيروت، 1986).

كتب الاحتجاج للقراءات:

أعقبت ظاهرة التأليف في «القراءات القرآنية»، ظاهرة أخرى مرتبطة بها، وهي التأليف في ميدان الاحتجاج لها، وهي دراسات يُراد بها توثيق القراءات في الجوانب اللغوية والنحوية، الصرفية، أو الصوتية، والدلالية.

وهي على نوعين:

أولهما: الاحتجاج للقراءات المشهورة:

وأشهر كتبها هو:

ـ الحجّة في القراءات السبع، لابن خالويه (ت 370 هـ.)، تح: عبد العال مكرم (بيروت، 1977).

ـ الحجّة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي (ت 377 هـ.)، تح: النجدي وآخرين (القاهرة، 1965).

ـ حجّة القراءات، لأبي زرعة (ت في القرن 4 هـ.)، تح: سعيد الأفغاني، (بيروت، 1974).

ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي القيسي

(ت 437 هـ.)، تح: د. محي الدين رمضان (دمشق، 1974).

وثانيهما: الاحتجاج للقراءات الشاذة:

وأشهر كتبها هو:

ـ مختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه (ت 370 هـ.)، تح: برجشتراسر (القاهرة، 1934).

ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، لابن جنّي (ت 392 هـ.) تح: علي النجدي وشلبي، (القاهرة، 1965).

ففي هذه الكتب دراسات صوتية لا يُستهان بها، خاصة ما نجده في كتب أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جنّي.

أما كتب معاني القرآن، ومجازه، وتأويله:

فهي تصانيف قرآنية تناولت النّص القرآني الذي ترى فيه ما يُشكل على أفهام الناس، بالتفسير، والشرح لإزالة اللّبس الذي يكتنفه سواء أكان في المعنى، أم في القراءة، أم في الأحكام اللغوية من: نحو، وصرف، وصوت، وبهذا اختلفت عن كتب التفسير التي اتخذت مبدأ الاستقصاء أساساً في شرح الآيات، وبيان مقاصدها، وإظهار أحكامها، وإيضاح جوانبها اللغوية، والذي يعنينا من هذه المؤلفات جملة الآراء والدراسات الصوتية التي لجأ إليها مؤلفوها من أجل تفسير الظواهر الصوتية، والصرفية خاصة، إذا عرفنا أن مؤلّفيها هم من كبار علماء العربية.

ومن هذه الكتب:

ـ معاني القرآن، للفراء (ت 207 هـ.)، تح: أحمد نجاتي وآخرين (القاهرة، 1972).

ـ مجاز القرآن، لأبي عبيدة (ت 210 هـ.)، تح: فؤاد سزكين، (القاهرة، 1954).

ـ معاني القرآن، للأخفش، (ت 215 هـ.)، تح: د. فائز فارس (الكويت، 1979).

ـ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ت 276 هـ.)، تح: د. سيد أحمد صقر، (القاهرة، 1954).

ـ معاني القرآن وإعرابه، للزجاج[33] (ت 311 هـ.)، تح: د. عبد الجليل شلبي، (بيروت، 1973).

ومما هو جدير بالذكر أن أبا علي الفارسي (371) قد تعقّب هذا الكتاب واستدرك عليه بكتاب عنوانه «الإغفال فيما أغفله الزجّاج من المعاني» وقد حقّقه ودرسه الدكتور محمد حسن عواد برسالة علمية تقدّم بها إلى جامعة عين شمس عام (1974) للحصول على شهادة الماجستير، بمجلدين..

ـ الفوائد في مشكل القرآن، لعز الدين بن عبد السلام (ت 660 هـ.)، تح، د. سيد رضوان (الكويت 1967).

كتب اللغة المتخصّصة

وهي تآليف تناولت موضوعات لغوية متنوعة مالت إلى نوع من التخصص في بحثها اللغوي من: نحو، وصرف، وصوت، ومباحث لغوية أخرى، والذي يعنينا منها: المباحث الصوتية.

فكتب النحو والصرف ـ مثلاً ـ ساهمت منذ عصر التأليف المبكّر بجهود صوتية ـ عُدّت قوام الدرس الصوتي عند العرب ـ وجاءت هذه الدراسات ضمن أبواب الإدغام والإمالة والإبدال، التي أفردوها لهذا اللون من الدراسة من أجل معالجة الظواهر الصرفية والنحوية التي تعتمد في عللها على القضايا الصوتية.

وأشهرها:

ـ الكتاب، لسيبويه، (ت 180 هـ.)، تح: عبد السلام هارون (القاهرة، 1966 ـ 1979).

ـ المقتضب، للمبرد (ت 285 هـ.)، تح: الشيخ محمد عضيمة، (القاهرة، 1963 ـ 1980).

---

(33) نشر أخيراً كتاب «معاني القرآن» لأبي جعفر النحاس، في السعودية وهو من كتب التفسير.

ـ الجمل، للزجاجي (ت 340 هـ.)، تح: د. علي الحمد (بيروت 1984) وكان ابن أبي شنب قد نشره في باريس عام 1957.

ـ التبصرة والتذكرة، للصيمري (ت. ق 4 هـ.)، تح: فتحي أحمد (مكة المكرمة، 1982).

ـ دقائق التصريف، للقاسم المؤدب (ت. ق 4 هـ.)، تح: د. حاتم الضامن (بغداد، 1987).

ـ المنصف، لابن جني (ت 392 هـ.)، شرح تصريف المازني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، (القاهرة، 1954).

ـ المفصل، للزمخشري (ت 538 هـ) (القاهرة، لا، ت).

ـ شرح المفصل، لابن يعيش (ت 643 هـ.) (القاهرة، لا، ت).

ـ الممتع في التصريف، لابن عصفور (ت 669 هـ.)، تح: د. فخر الدين قباوة، (طرابلس، 1983).

ـ شرح شافية ابن الحاجب، للاسترابادي. (ت 688 هـ.)، تح: محمد نور الحسن وآخرين (القاهرة، 1356 هـ.).

ويندرج تحت هذا القسم الكتب التي اختصّت بمباحث (فقه اللغة) فقد نجد بين طياتها ملاحظات أو آراء صوتية مبثوثة كما نجدها عند ابن فارس، أو أبواباً مستقلة كما عند ابن جنّي.

وأشهر هذه الكتب:

ـ الخصائص، لابن جنّي (ت 392 هـ.)، تح: النجار (القاهرة 1985).

ـ الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارسي (ت 395 هـ.)، تح: د. الشويمي (بيروت، 1964).

ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي (ت 911 هـ.)، تح: محمد أبو الفضل، وآخرين: (القاهرة، 1958).

المعجمات اللغوية

ونخصّ منها ـ في هذا الموضع ـ المعجمات التي اتّخذت من الترتيب الصوتي للحروف أساساً لترتيب الألفاظ، وقد صُدِّرت هذه الكتب بمقدّمات عالجت قضايا صوتية كـ: تحديد عدد الأصوات العربية، ومخارجها، وصفاتها، وتآلفها وتنافرها، من أجل الإفادة منها في حصر الألفاظ العربية وتحديد المستعمل منها والمهمل، وبالتالي ترتيبها داخل تآليف وفق منهجهم المختار:

ـ العين، للخليل الفراهيدي (ت 175 هـ.)، تح: د. السامرائي، ود. المخزومي: (بغداد، 1980).

ـ البارع، لأبي علي القالي (ت 356 هـ.)، تح: د. هاشم الطعان (بيروت، 1975)، وهذه النشرة تمثل قطعة منه.

ـ تهذيب اللغة، للأزهري (ت 370 هـ.)، تح: عبد السلام هارون وآخرين (القاهرة، 1984).

ـ المحيط، للصاحب بن عباد (ت 358 هـ.)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين (بغداد، 1976).

ـ المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (ت 458 هـ.)، تح: مصطفى السقا وآخرين (القاهرة، 1958).

ولا نعدم وجود معجمات ذات مناهج أخرى عرضت لمثل هذه المقدّمات الصوتية، أو الملاحظات في ثنايا المادة اللغوية.

من ذلك:

ـ جمهرة اللغة، لابن دريد (ت 321 هـ.)، نشر كرنكو (حيدر آباد الدكن، الهند ـ 1344 هـ.)، وقد حقق أخيراً، ولم أقف عليه بعد.

ـ لسان العرب، لابن منظور، (ت 711 هـ.) طبعة دار صادر بيروت، 1955).

كتب الإعجاز والبلاغة

وما يعنينا من هذه التآليف مباحثها في «فصاحة اللفظة» و«تلاؤم الحروف وتنافرها»، وهي مباحث ارتكزت على دراسة مخارج الأصوات، وصفاتها، وإمكان تآلفها، فدرسوا هذه الجوانب، وعلّلوا لبعض التشكيلات الصوتية بعلل قد لا نجدها في كتب غيرهم.

وأبرزها:

ـ البرهان في وجوه البيان، لابن وهب الكاتب، (ت بعد 335 هـ.)، تح: د. أحمد مطلوب وخديجة الحديثي (بغداد، 1967).

ـ النكت في إعجاز القرآن، للرماني، (ت 384 هـ.)، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: محمد خلف الله (القاهرة.؟).

ـ إعجاز القرآن، للباقلاني، (ت 403 هـ.)، تح: سيد، أحمد صقر، (القاهرة، 1954).

ـ سرّ الفصاحة، للخفاجي، (ت 446 هـ.)، شرح عبد المتعال الصعيدي (القاهرة، 1969).

ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي[34] (ت 606 هـ.)، (القاهرة، 1317 هـ.).

ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، لضياء الدين ابن الأثير، (ت 637 هـ.)، تح: د. مصطفى جواد، ود. جميل سعيد (بغداد، 1965).

ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير (ت 637 هـ.). تح: د. الحوفي وطبانه (القاهرة، 1959).

ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، ليحيى العلوي (ت 749 هـ.)، (القاهرة 332 هـ.).

---

(34) للرازي ملاحظات وآراء صوتية قيّمة سجلها في أوائل تفسيره الكبير.

كتب الأدب العامة

ونعني بها التآليف ذات الموضوعات المتنوعة: نحوية، وصرفية، وصوتية، ودلالية، ونقدية، وأشعار، وقصص، وأخبار، وأنساب، وألفاظ غربية ونادرة. . . ، ونجد بين ثنايا هذه المواد المختلطة قضايا صوتية ومعالجات لا تتوافر عليها في كتب الأصوات، نظير:

ـ تعرضهم لعيوب النطق، وإحصاء الأصوات كثيرة الدوران على ألسنة العرب، والمقارنات الصوتية، وإدراك أثر الحياة الاجتماعية على نطق الأصوات، ونسج أصوات الكلمة العربية، وأمثال هذه الموضوعات:

وأبرز هذه الموسوعات:

ـ البيان والتبيين، للجاحظ (ت 255 هـ.)، تح: عبد السلام هارون (القاهرة، 1975).

ـ الكامل في اللغة، للمبرد، (ت 285 هـ.)، تح: محمد أبو الفضل، (القاهرة، 1956).

ـ الأمالي، لأبي علي القالي (ت 356 هـ.)، (القاهرة، 1975).